دعائم الحكم الصالح

للحكم العادل الرحيم المثمر دعائم لا يقوم إلا عليها ، ولا يدوم إلا بها ، من أهمها هذه الثلاث التي أوصى بها الرسول والي من ولاته على الأقاليم ، وكانت تلك عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه كان بالمؤمنين رءوفاً رحيما » يزود الحكام والولاة بنصائحه ، ويأمرهم أن يرعوا كلَّ ما يصلح أمر الشعب ، ويشعره بالاطمئنان والهدوء . ويمكنه من القيام بواجباته في الحياة على نحو يحقق له العزة والرفاهية .

وأول هذه الدعائم الثلاث « التيسير وعدم التعسير » وتلك شرعة شرعها الله في دينه « وما جعل عليكم في الدين من حرج » « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فأجدر بها أن يتخذها الناس أساساً في دنياهم .

إن الحاكم العادل الحاذق هو الذي يعلم أن للشعوب طاقة ، وللأفراد قدرة ، وللاحتمال نهاية ، فلا يكلف شعبه مالا يطيق من ضرائب فادحة ، أو نظم جامحة أو قوانين صارمة ، ولا يكبت في أفراده معاني الحرمان واليأس ، ولا يحجر على حرية القول والكتابة والرأي فيما لا يضر بالصالح العام فإن النفوس إذا امتلأت بالكبت ، وشعرت بالضغط ولم تجد فيما تراه حقاً لها متنفساً ، كان أمرها بين اثنتين كلتاهما النار : إما موت الذلة والإرهاق ، والخيبة والإخفاق ويومئذ تخور قواها فلا تقاوم ، ولا تنتج ، ولكن تذوب ، وتضمحل ، وتكون غثاء كغثاء السيل تداعى عليها الأمم كما تداعى الآكلة إلى قصعتها ، وإما عاصفة عاتية ، تزلزل الأمن ، وتنشر الفوضى ، وتفسد النظام !

وإن مجال التيسير أمام الحاكم العادل لفسيح : تخفيف وطأة الحياة على الفقراء تيسير ، محاربة الغلاء تيسير ، العناية الصادقة بمعالجة المرضى تيسير ، إعطاء العاملين حقوقهم تيسير ، فتح أبواب المدارس والمعاهد تيسير ، إصلاح خطط التعليم وتهذيب مناهجه تيسير ، تبسيط الإجراءات الإدارية والقضائية تيسير وهكذا .

الدعامة الثانية من دعائم الحكم العادل في نظر الرسول هي : « التبشير وعدم التنفير » فإن الحاكم والرئيس إذا كان طلق الوجه ، حلو اللسان ، حريصاً على أن تحيا الآمال في النفوس ، استطاع أن يثير بواعث العمل ، وأن ينشط إلى الإنتاج ، وأن يضاعف الثمرات ، أما الحاكم الفظ ، الغليظ القلب ، ذوالوجه العبوس الذي يعتمد على الإرهاب والتخويف والوعيد والتهديد ، فأجدر به أن ينفر الشعب منه ، وتموت في أفراده دوافع الرغبة ، وبواعث الأمل .

أما الدعامة الثالثة فهي شأن من شئون الحكام المتعاونين بعضهم مع بعض : « تطاوعا ولا تختلفا » هذا هو عنوانها الذي صورها به الرسول ، ولا تستطيع أمة يتنازع حكامها ويتخاصم قادتها ، ويتخالف أولو الرأي فيها ، أن تسلك في أية ناحية من نواحيها سبيلاً مستقيما ، ولا أن ترقى إلى شأو تبتغيه ، ذلك بأن كل حاكم من هؤلاء الحكام أو القادة المتخالفين سيتبعه فريق من الأمة ، فيسري داء الخصومة ، وتنتقل عدوى التنازع إلى الشعب في كل مصنع وفي كل معهد ، وفي كل متجر ، وفي كل بيت ، ويومئذ تصير الأمة أحزابا وشيعا « كل حزب بما لديهم فرحون » .

ولا أريد أن أستوحي التاريخ مثلا لما تصاب به أمة متفرقة متنازعة متقطعة ، فإن في الحالة الراهنة ما يغني عن كل تمثيل .

هذه وصية نبيكم وحاكمكم الأول لولاته ، وهي السياسة لمن أراد السياسة ، وهي الرشاد لمن أراد الرشاد ،

« من أحاديث الصباح »